Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i3

الامتداد الزمكاني لمنهج الاصلأح الحسيني

عدنان مالح ساجت
dr.adnan.maleh@utq.edu.iq
قسم التاريخ ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ذي قار ـ ذي قار ـ العراق

الملخص

لاشك ان للسيرة النبوية الشريفة دورا مهما في منهجها لاصلاح حياة المسلمين في كل بقاع الارض ،وان الامة التـي تتبـع المـنهج السيري تمثل عنوانا مهما للامة الحقة والتي تتاسى بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم، وكما جاء في قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) (سورة الاحزاب، الاية 22) اما الامتداد الزمكاني لهذا الاصلاح والذي يـرتبط ارتباطـا مباشـرا ووثيقا بمنهج السيرة النبوية الشريفة، فكان له الاثر البالغ في مسيرة الأصلاح الحسيني المستمدة من مصادر الفكر الاسلامي وعلـى رأسها وفي مقدمتها ، القران الكريم ، كتاب الله الذي يعد من اصدق المصادر، وكذلك مرويات السيرة النبوية الصحيحة وسيرة ائمة اهل البيت عليهم السلام، لذلك كان لابد من دراسة هذا المفهوم في ضوء ا لمصادر التاريخية ومنها كتـب التـاريخ الاسـلامي، لمـا فيها من تاثير واهمية كبيرة في حث المسلمين بان يكونوا دعاة للاصلاح لما يمثل من طاعة خالصـة لاوامـر الله فـي الـدعوة للحـق واتباعه، ولتكون كلمة الله هي العليا والذين ظلموا السفلى

الكلمات المفتاحية : النبي محمد صل الله عليه و سلم، الامام علي عليه السلام، الامام الحسين عليه السلام الاصلاح، الزمان، المكان

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i3

The Spatiotemporal Scope of al-Husayn's Reform Approach

Adnan Maleh Sajet
Department of History, College of Education for Human Sciences, University of Thi-Qar, Thi-Qar, Iraq
dr.adnan.maleh@utq.edu.iq

Abstract

life of peoples and nations, and that the nation that advances is the nation that benefits from its history. Falsehood comes to him, as well as the sources and narrations of the true honorable Sunnah and the biography of the imams from the family of the House, may prayers and peace be upon them all, so it was necessary for us to seek help from what we sources and Islamic history books because of this concept of great importance that benefits society through urging and reminding The importance of man being on the right path that pleases God Almighty, and the call to fight falsehood with all the power given to man, because it is in the interest of humanity to live in peace and tranquility, and for the word of God to be the highest and those who wronged the lowest. mentioned in studying this concept in the light of historical.

Keywords: Boldness, Biography of the Prophet, Prophet Muhammad, Imam

المقدمة

تمثل الدراسات في السيرة النبوية جانبا مهما في دراسة التاريخ الاسلامي واحداثه ، لقد اخذ الجانب الاصلاحي حيزا كبيرا في مرويات السيرة النبوية الصحيحة ،من اجل عالم تسوده الرحمة والعدالة بين الناس جميعا وهذا غاية الاصلاح، قال تعالى في كتابه الكريم(وما ارسلناك ا لارحمة للعالمين) (سورة الانبياء، الاية 107) ويشكل هذا المسار القراني لرسالة الاسلام السمحاء القائمة على مبدا التغيير الجذري لواقع الامة في الجاهلية وقبيل الاسلام، الذي اكد في اول الامر على عقيدة التوحيد والتسليم لله وحده لاشريك له، وشهادة ان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله نبي الله صلى الله عليه واله وسلم ، قال تعالى (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) (سورة ال عملران ، 132)، وقد ورد في تفسير الاية ، قال ابو جعفر ، يعني بذلك جل ثناؤه ، واطيعوا الله ايها المؤمنون فيما نهاكم عنه من اكل الربا وغيره من الاشياء المحرمة ،وفيما امركم به الرسول صلى الله عليه واله، ايضا لعلكم ترحمون، يقول لترحموا فلا تعذبوا، (الطبري ، تفسير الطبري، 6/ 207) وهنا قرنت الرحمة بالطاعة لله سبحانه وتعالى ولرسوله ، وذلك في جميع مناحي الحياة اليومية للمسلم، وهذا امر بحد ذاته دعوة صريحة للتاسيي بالنبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم ، وتمثل طاعة النبي صلى الله عليه واله وسلم ،الركن الاساسي لمنهج الاصلاح والذي ابتداه صلى الله عليه واله وسلم ، فكان يوم الدار او حادثة الانذار ، الصورة الاولى من صور الاصلاح المحمدي، قال سبحانه وتعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) (سورة الشعراء، اية 214) وهو ان الاصلاح العقائدي يبدا من قومك يامحمد الاقربين منك ، (الطبري ، تفسير الطبري ، 75/19) ومن وقائع هذه الحادثة ان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، طلب من رهطه وعشيرته ان يناصروه فجاء الرفض من الجميع الا الامام علي عليه السلام ، كان نعم الناصر والمؤازر للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ،وكان عمره لايتجاوز السادسة ، اعني ان الامام عليه السلام كان صبيا، (ابن كثير، البداية والنهاية، 40/3) ، وايدت احداث السيرة النبوية مؤازرة الامام علي عليه السلام طيلة حياة النبي محمد صل الله عليه واله وسلم ، فكان عليه السلام بمثابة الظل الوارف للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وتؤكد ذلك الاحداث التا ريخية التيي، منها التزام الامام علي عليه السلام بتكليفه الشرعي بمسالة الامامة للامة الاسلامية ،في وقت انقلبت الامة على اعقابها وحولت عن مشروع النبي صلى الله عليه واله وسلم الاصلاحي ، ولمدة تزيد على ربع قرن من الرمان كان عيه السلام يؤسس للاسلام المحمدي، حتى بايعته الامة الاسلامية في الحجاز على الخلافة ،بعدما عصفت بها الفتن ، وقد اكدت الروايات بتظافر الامة على ا على هضم حق الامام في الخلافة،بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، قال سليم ،(وحدثني علي بن ابي طالب، قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في بعض طرق المدينة ، فاتينا على حدبقة فقلت يا رسول الله ما احسنها من حديقة ، قال ماحسنها ولك في الجنة احسن منها ،وتقاتل على سنتي الناكثين والقاسطين والمارقين) (سليم بن قيس الهلالي ، كتاب سليم ، ص136)،

ان هذه المهمة الموكلة الى الامام عليه السلام ، تتطلب الجراة والشجاعة ليغيير الواقع المتمرد على قيم الاسلام وتعد برنامجا اصلاحيا كما بداه النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، في بداية الدعوة الاسلامية عندما اضطر الى مقاتلة مشركي قريش ويمتد هذا الامر الاصلاحي الى الامام الحسن عليه السلام الذي اضطر ايضا الى عقد الصلح مع معاوية كجزء من الحفاظ عل بيضة الاسلام، لما راى قلة الناصر وخذلان الامة وسيرها مع ملذات الدنيا، فابتكر نوعا من الاصلاح بعقد معاهدة مع معاوية لحين اتاحة الوقت ومعالجة الازمة،وا متد المشروع الاصلاحي في حياة الامام الحسن عليه السلام ، الى الامام الحسين عليه السلام بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام ، القائل، لم اخر اشرا ولابطرانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي محمد صلى الله عليه واله ، (ابن اعثم ،الفتوح، 21/5) وهذا الامر يتطلب منه الصبر والتضحية بالنفس والعيال،

اما الامتداد الزمكاني يكون من خلال تحقق المكان، فكانت مكة والمدينة وكربلاء، وتحقق الزمان ، فكان العهد النبوي في مكة والمدينة، والعهد الراشدي ، والعهد الاموي، يمثل البعد الزمني لتلك العهود التي رافقت مسيرة الاصلاح التي توجت في الاصلاح الحسيني ،ففي زمن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، قاتل المشركين في مكة ،ثم اللهجرتين الى الحبشة ويثرب، وفي المدينة اسس اللبنة الاولى لدولة العقيدة وفتح مكة سنة 8 للهجرة ، اما الامام علي عليه السلام ، فقد ثبت في المواطن كلها، هاجر ال يثرب ،المدينة المنورة بوصول النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، اليها ،واجه الفتن التي اعقبت وفا ةالنبي محمد صلى الله عليه واله ، ، ومنها فتنة مقتل عثمان ،واجتماع الناس للبيعة للامام علي عليه السلام ،ثم التوجه لاكمال البرنامج الاصلاحي ، بانتقال مركز الخلافة الى الكوفة،ومن اسباب الانتقال عل سبيل المثال لاالحصر ، لمواجهة الخارجين عن الدولة الاسلامية في بلاد الشام بشخص معاوية ،ومصر،عمرو بن العاص ، والموالين للخارجين عن طاعة الامام والخليفة، وبعد استشهاد الامام عليه السلام ،ينتقل الامر الاصلاحي الى الامام الحسين وهو في المدينة المنورة ، لنقض العهود التي قطعها معاوية ويزيد للامام الحسن عليه السلام،وبذلك سار الامام الحسين عليه السلام ،متوجها الى كربلاء ومعه العيال والاصحاب الخلص،لمحارية الطغيان الاموي، وتاسيس نموذج الاسلام المؤمن بالله ورسوله وائمة اهل البيت عليهم السلام والصحابة المنتجبين

وقد احتوت خطة البحث ، عل عدة مطالب، فكان المطلب الاول ، السيرة النبوية لغة واصطلاحا ، والمطلب الثاني ، الامتداد الزمكاني للمنهج الحسيني الاصلاحي، وخاتمة

المطلب الاول

السيرة النبوية لغة واصطلاحا

1- السيرة لغة :- السيرة النبوية في احد معانيها، هي الطريقة وكما في قوله تعالى(سنعيدها سيرتها الاولى) (سورة طه ، الاية 21)،وذكر ابن منظورفي مادة (سير) من سير من سار القوم يسيرون سيرا، (لسان العرب،390/4) اذا امتد بهم السير في سيرة حميدة، او الطريقة ، وادخل فيها الغزوات ، (الزبيدي ، تاج العروس ، 12/ 17)

2- السيرة اصطلاحا:- اما لو جئنا في المعنى الاصطلاحي ، فلاتختلف في المعنى كثيرا، ومن معانيها، تعد سيرة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، والمدة التي عاشها ، صلى الله عليه واله وسلم ، وجميع الاحداث التاريخية التي مرت والمتعلقة في حياة النبي الاكرم ،صلى الله عليه واله وسلم ، سواء قبل البعثة او بعدها. ويرتبط الحديث النبوي الشريف ارتباطا وثيقا باالسيرة النبوية لاسيما ان مجموع الاحاديث النبوية تشكل السنة النبوية ،والتي اثرتها سيرة النبي محمد صلى الله عليه واله ،اقوال وافعال وتقرير النبي صلى الله عليه واله وسلم ، ففي معرض اقوال النبي ، صلى الله عليه واله ، نجد مصداق ذلك في قوله تعالى (ومايطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) (سورة النجم، الاية، 3-4) ، وورد عن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ،(والذي نفسي بيده مايخرج منه الا حق واشار الى فيه، ، (ابن حجر، فتح الباري، 1/ 350) وقد كتب في السيرة النبوية الالاف من الكتب المعتبرة ، وفي السنة النبوية من كتب الصحاح والمسانيد وكتب السنن لكافة الفرق والمذاهب الاسلامية، كذلك كتاب الكافي للكليني الذي يمثل اهم كتب الحديث النبوي الشريف عند مدرسة اهل البيت عليهم السلام ، واكدت تلك الكتب على التمسك يكتاب الله سبحانه وتعالى وعترة اهل البيت عليهم السلام، وقد اكدت كتب الصحاح على التحذير من الفتن استنادا لما ورد عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ، والتي نبهت على كيفية النجاة من تلك الفتن، وماهو السبيل الانجع لاتباعه،وكيف ان عل المؤمن مواجهة السلطان الجائر، الذي لايحكم بما امر الله به من اقامة الحق واداء ماوجب الله من

الفرائض، نعم ان طريق الحق والهدى الالهي والنبوي، سالك في دروب المؤمنين في قبال طريق الضلالة ،الذي يسلكه يكون نصيبه الخزي في الحياة الدنيا والاخرة،

وقد وردت ايات عديدة في الحث على القتال وبيان فضل المرابطة في سبيل الله ، قال تعالى (ولولا انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوامن دياركم مافعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا مايؤمنون به لكان خيرا لهم واشد تثبتا، واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما) (سورة النساء ، الاية 17)،

وبذلك نرى عظمة وسمو الامتثال لاوامر الله سبحانه وتعالى وامر النبي محمد ،صلى الله عليه واله وسلم ، من قبل الناس، كما في امر القتال في سبيله الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) (سورة البقرة ،الاية 190) ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه واله وسلم ، لما اشتد اذى مشركي قريش للنبي صل الله عليه واله وسلم ، واصحابه ، بالهجرة الى الحبشة، ثم الهجرة الى يثرب (المدينة المنورة)،وهذا الامر تجسد في السيرة النبوية،من قيام النبي صلى الله عليه واله وسلم ، بالوقوف في وجه المشركين لوحده صلى الله عليه واله وسلم ، في بداية الدعوة ا لاسلامية وثلة من بني هاشم ،واصحابه المنتجبين،ويعد هذا الموقف من الدروس الاولى في منهج الاصلاح النبوي،ومن اساليب وادوات الاصلاح الطاعة لله ولرسوله كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين من الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا (سورة الشعراء ، الاية 124)، والذي يطع الله ورسوله ينالة الفضل الواسع (ابن هشام ، السيرة النبوية) وكما في قوله تعالى (ذلك الفضل من الله وفى بالله عليما) (سورة النساء ، الاية 70) وامر الله سبحانه وتعالى ، النفير في سبيله افرادا او جماعات ، وبحسب متطلبات الموقف، قال سبحانه وتعالى ، (يايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا) (سورة النساء ، الاية 71)،

وبذلك يكون منهج الاصلاح الحسيني مرتبط عقائديا وعقليا بالمنهج النبوي، بمعنى لم ياتي صدفة، انما يمكن عده من السنن وحركة التاريخ الاسلامي، وسناتي على بيان ذلك بيان الامتداد الزمكاني لمشروع الاصلاح ، لنؤكد امتزاج ، المكان والزمان وكذلك الانسان الفاعل والمحرك لكينونة المكان والزمان، وحركة التاريخ، فلكل زمان رجال,

الامتداد الزمكاني لمنهج الاصلاح الحسيني

ان ارتباط منهج اصلاح الحسيني زمكانيا، كان واضحا وجليا من خل تتبع الاحداث التاريخية لكلا المدتين او الزمنين، فقيام النبي ، صلى الله عليه واله وسلم ، بمحاربة مشركي مكة دفاعا عن منهج الاصلاح النبوي(نشر الدعوة الاسلامية) ، انطلاقا من ارض القداسة (المدينة المنورة) ولاجل اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ورفع راية الاسلام، للعالم اجمع .

وبما ان الامام الحسين عليه السلام، انطلق من ذات المكان مع اختلاف الزمان، فاتحد الزمان مع المكان ووجود الامام عليه السلام ،يمثل الانسان الكفيل بحركة التغيير نحو الاصلاح ، لتكتمل حركة الاصلاح الاسلامي الصحيح، ونبذ الظلم والطغيان، وللحفاظ على بيضة الاسلام.

وبعد التعدي الذي حصل من الامويين واستباحة حرم الاسلام ، لقد مر هذا الركب الحسيني في توديع النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، ، من قبل الامام الحسين عليه السلام ، دخل الى المسجد النبوي ، وعند قبره الشريف، استقرأه الحال وما وصلت اليه امة الاسلام ، ثم دعى الى مواجهة اعداء الدين بصبر وثبات ، وتوجه الى مكة في ايام الحج،ثم قرر الخروج من مكة قبل ان يتم الحج ، حفاظا على حرمتها، لكنه اوضح الامر للمسلمين وللحجاج من كل بقاع الارض انذاك، بما الت اليه امور

الاسلام من طغيان يزيد وتهوره في الحكم ،باجبار الامام بالبيعة لـه،فانطلق متوحها الـى العـراق ، وكـان برنامجـه الاصـلاحي يتمثل بقوله الشريف ، لم اخرج اشرا ولابطرا انما خرجت لاجل اصلاح امة جدي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، (ابن شهر اشوب ، المناقب، 4/ 89، محمد علي الحلو، تفسير الامام الحسين عليه السلام ، ص، 234،) وبـذلك يحصـل الامتـداد الزمـاني والمكاني، عندما وجه مسيره الى ارض العراق، الـى ارض كـربلاء ، ارض الطفـوف ، المقـدس فيهـا امتـزج المكـان المقـدس والزمان المقدس ،وكما اسلفنا سابقا ان المكان والزمان لن يكون تاثيرهمـا واضـحا وجليـا بـدون وجـود المحـرك الانسـان الـذي سيجعل من تلك الحركة الصالحة والمؤمنة عملا صالحا يخدم الناس جميعا،والمتمثل بشخص الامام الحسين عليـه السـلام ،تلـك الشخصية (الامام المعصوم) المفترض الطاعة، والشخصية الكارزمية، الذي يحمل منهج الاصلاح لامـة الاسـلام ،والـذي يقـع عليه وعلى عاتقه التكاليف الشرعية بحفظ الامة وصلاحها.

وذكرت الروايات ، عن الامام علي عليه السلام ، قال في خطبة له ، ينحدر عني السيل ، ويرق الي الطير، (الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 1/ 31) وقيل في حق الامام عليه السلام ، (استغنى عـن الكـل ، واحتـاج الكـل اليـه ،)(عبـاس القمـي ، سـفينة البحار ، 10 / 460)، وقال عليه السلام ، (ليس امري وامركم واحد، اني اريدكم لله وتريدونني لانفسكم) (ابـن ابـي الحديـد ، شرح نهج البلاغة ، 31/9) ، كان يتفجر علما لم يجد له حملة، انه عليه السلام ، امام الانسانية الذي قال (النـاس صـنفان ، امـا اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق (الشريف الرضي، نهج البلاغة، 3/ 84) ، ولاجل دراسـة الحضـور الزمـاني والمكـاني للنهضة الحسينية ، والتي قدر لها ان تواكب المسيرة الاصلاحية الاولى للدعوة الاسلامية ، وان كانت بصور مختلفة فهـي تمثـل ذات الهدف الذي سعى اليه الامام الجسن عليه السلام,

وبمقاربة تاريخية ، فقد كان النبي محمـد صـلى الله عليـه والـه وسـلم ، وحيـدا فـي بدايـة الـدعوة للاسـلام،لانه اراد اصـلاح مجتمعه في مكة، ثم شاركه وازره الامام علي عليه السلام،على الرغم منمن صغر سن الامام عليه السـلام، ومـا حادثـة الانـذار الا خير شاهد تاريخي على ذلك (ابن هشام،السيرة النبوية ، 103/1) ثم افتداؤه عليه السلام للنبي محمد صلى الله عليه والـه ، في البقاء في فراش النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، عندما عزمت قريش كل مشركي قريش على قتل النبـي محمـد فعزم النبي صلى الله عليه واله وسلم ، على الخروج والهجرة الى يثرب.

وشهدت السيرة النبوية، عل ان الامام علي عليه السلام ، شهد المواطن كلها مع النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ،السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية (ابن هشام ، السيرة النبوية ، 103/1،)،ويعد مماتقدم من الشواهد التاريخية عل ان الامام علي عليه السلام ، قد مثل الامتداد الثاني لمشروع الاصلاح، ولنعرج الى احتضان الحسن والحسين من قبل النبي محمـد صـلى الله عليه واله ، ، كونهما سيدا شباب اهل الجنة، وكونهما امامان قاما او قعدا، واباهم علـي بـن ابـي طالـب عليـه السـلام،وامهم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، حب المصطفى صلى الله عليه واله ،وورد الحديث عن النبي (كـل ولـد اب فـان عصـبتهم لابيهم،ما خلا ولد فاطمة فانا ابوهم وعصبتهم (المقريزي، فضل ال البيت ، 24/13) وروي انه صـلى الله عليـه والـه وسـلم ، ، قال(هذان ابناي من احبهما فقد احبني، (الحاكم النيسابوري ، المستدرك، 3/ 194) ، وفي مروية اخرى ، (انـا حـرب لمـن حاربكم وسلم لمن سالمكم) (المجلسي ، بحار الانوار ، 34/ 208) . كـان لمـا تقـدم مـن المرويـات ، حضـورا زمانيـا ومكانيـا، والذي تمثل بحضرة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وعـل لسـانه الشـريف،ومكانيا الـذي تمثـل بالمدينـة المنـورة التـي شرفها الله سبحانه وتعالى ، في هجرة النبي صلى الله عليه واله وسلم ، اليها ، ومما يلاحظ ، ورود مفردة (الحرب) و (السلام) في الرواية المتقدمة،وهذا الامر يدل على ان منهج الاصلاح واحقاق الحـق يتطلـب مواجهـة اهـل الباطـل ، وقـرن الاصـلاح باتباع الحوارومنهج السلام من اساسيات المنهج الاسلامي الصحيح ،وهذا يعد امرا صريحا من النبي صلى الله عليـه والـه ،الـى

ان منهج اهل البيت، السلم والسلام والامن والامان والصلاح والاصلاح، والذي يمثل بالوقت نفسه البعد العقائدي لمنهج الاصلاح الحسيني , وان خير مايؤيد ذلك ، ان النهضة الحسينية لم تبدا من لحظة مقارعة قرن الشيطان يزيد بن معاوية ، انما كان لها امتداد رسالي منذ فجر الاسلام ،او منذ عصر التاسيس الاول للاسلام قال سبحانه وتعالى(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (سورة احزاب ، الاية 33) ، قال المفسرون ، انما نزلت في علي عليه السلام ،والسيدة فاطمة الزهراء والحسن والحسين عليما السلام ، (الطبري ، تفسير الطبري ، 28/9) ومن الجوانب العملية لهذه المروبة،ان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، ، اراد ان يعرف باهل البيت عليهم السلام، ولمدة تقارب الستة اشهر كان صلى الله عليه واله وسلم ، لايمر على باب فاطمة الزهراء الا وردد اية التطهير (سورة الاحزاب، الاية 33)، وفي رواية عن ام سلمة زوج النبي محمد (جاءت فاطمة عليها السلام، الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ،ببرمة قد صنعت منها عصيدة ، تحملها على طبق، فوضعتها بين يديه صلى الله عليه واله وسلم ، ، فقال صلى الله عليه واله وسلم ، اين ابن عمك وابناك ، فقالت في البيت، فقال صلى الله عليه واله وسلم ، ادعهم ، فجائت فاطمة عليها السلام فقالت ، اجب النبي انت وابناك، فقالت ام سلمة ، فلما رآهم مقبلين مد يديه الى الكساء كان على المنامة فمده وبسطه، فا جلسهم عليه ثم اخذ باطراف الكساء الاربعة بشماله مضمنه فوق رؤوسهم ، واوما بيده اليمنى الى ربه (تعالى ذكره) ثم قال ، ((اللهم هؤلاء اهل البيت فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)) (الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، 2/ 416) ونبقى في العبق النبوي الذي افاح لنا هذه النفائس الطيبة عن صاحب النهضة الحسينية ، وصاحب المشروع الاصلاحي،الذي كان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، (الصدوق ، الامالي ، 32/199)، والقائل (حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا) (عباس القمي ، كامل الزيارات ، 3/ 180) وقيل في الامام الحسين عليه السلام ، حسين سبط من الاسباط، (المفيد ، الارشاد) وكان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، اذا رآى الحسين مقبلا، قبله ورشف ثناياه، وقال فديت من فديت بابني ابراهيم ، (الصدوق ، الامالي ، ص ، 199) ، مماتقدم صورة عن صاحب المشروع الاصلاحي ،الامام الحسين عليه السلام، والحاضنة التي عا شها عليه السلام ، المتمثلة ببت النبوة ، الحاضنة الطاهرة المطهرة، الذي ينعكس على قيادته العظيمة للائمة الاسلامية، مكانا وزمانا وقيادة صالحة وقران يمثل دستورا ايمانيا لمنهج الاصلاح الحسيني .

ويستمر الامتداد الزمكاني من خلال ماروي من روايات عن احداث وحوادث تاريخية يمر ذكر صاحب الاصلاح قبل ان يحصل ، وتعد من الاستشرافات المسقبلية في التاريخ الاسلامي، فعند مسير الامام علي عليه السلام، لقتال معاوية ابان معركة صفين سنة 37 هجرية (ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ، 104) ، ذكرت الروايات ، عن عبد الله بن يحيى عن ابن ابيه، انه سار مع علي كرم الله وجهه، وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى، وهو منطلق الى صفين ، فنادى علي عليه السلام ،، اصبر ياعبد الله ، اصبر ياعبد الله ،بشط الفرات؟ قلت وماذا ؟ قال ، دخلت على النبي صلى الله عليه واله وسلم، ذات يوم وعيناه تفيضان من الدمع ، قلت ايا نبي الله، ااغضبك احد؟ ماشان عينيك تفيضان من الدمع، قال صلى الله عليه واله وسلم ، ،بل قام عندي جبريل فحدثني، ان الحسين يقتل بشط الفرات فقال ، هل لك ان اشمك من تربته ؟ قال قلت نعم ، فمد يده صلى الله عليه واله وسلم ، فقبض قبضة من تراب فاعطانيها فلم املك عيني ان فاضتا ،(احمد بن حنبل ، مسند احمد، ج1 ، ص 85) وتفيدنا تلك الرواية لتكون دليلا على الربط المكاني والزماني لتاصيل مشروع الاصلاح الحسيني،وان ارض كربلاء مرتبطة روحيا وزمنيا في المدينة المنورة ، وروي ايضا عن هانئ ابن هانئ، عن علي بن ابي طالب ، قال ليقتلن الحسين قتلا ، واني لااعرف تربة الارض التي فيها يقتل قريبا من النهرين وليقتلن الحسين ظلما (الكوراني، جواهر التاريخ ، ج3/ 333) نلاحظ في هذه الرواية، التحديدالدقيق لمكان الواقعةوكذلك الحكم الشرعي بان الامام الحسين عليه السلام يقتل مظلوما وشهيدا في سبيل الله سبحانه وتعالى،

وعن جويرية بن مسهر العبدي، قال لما توجهنا مع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام،الى صفين فبلغنا طفوف كربلاء، وقف عليه السلام ناحية من المعسكر، ثم نظر يمينا ويسارا، واستعبرثم قال ، هذا والله مناخ ركابهم، وموضع منيتهم، فقيل له ياامير المؤمنين ماهذا الموضع ،قال هذا كربلا ، يقتل فيه قوم فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم سار فكان الناس لايعرفون تاويل ماقال حتى كان من امر ابي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام ،واصحابه بالطف ماكان فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما انباهم به، عليه السلام، (الكوراني، جواهر التاريخ، ص 256) وفي هذه الرواية نجد تكرارا لتاكيد الموضع والموقع لواقعة الطف، ونتائج ماستؤول اليه الامور ،وبيان وضوح وحقانية الهدف الذي خرج من اجله الامام الحسين، فقتلى المشرو ع الاصلاحي في الجنة،وقتلى جماعة يزيد بن معاوية في النار، ،

وعن جرداء بنت سمين ،عن زوجها هرثمة ين ابي سلمة ،قال غزونا مع علي بن ابي طالب، عليه السلام ،صفين ، فلما انصرفنا ، نزل بكربلاء فصلى بها الغداة ثم رفع اليه من تربتها فشمها ، ثم قال واه لك من تربة ليحشرن منك اقوام يدخلون الجنة منها بغير حساب ، (ابن مزاحم ، وقعة صفين، ص ، 104) وكانت زوجته من الموالين لعلي ان ابي طالب،عليه السلام ، فقال ، الا احدثك عن وليك ابي الحسن ؟ نزل بكربلاء ، فصلى ثم دفع اليه من تربتها ، وقال واها لك من ايتها التربة ليحشرن منك اقوام يدخلون الجنة بغير حساب ؟ فقالت ايها الرجل فان امير المؤمنين لم يقل الاحقا (ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ، 104)

فلما قدم الامام الحسين عليه السلام،قال هرثمة، كنت في البعث الذي بعثهم ابن زياد ، فلما رايت المنزل والشجر ذكرت الحسين عليه السلام ،فجلست على بعيري ثم صرت الى الحسين عليه السلام ، فسلمت عليه ن واخبرته مما سمعت من ابيه في ذلك المنزل الذي نزل به الامام الحسين عليه السلام ،فقال انت معنا ام انت علينا ،؟ لامعك ولاعليك خلفت صبيه عليهم عبيد الله بن زياد، قال فامض حيث لاترى لنا مقتلا، ولاتسمع لنا صوتا، فوالذي نفسي بيده لايسمع اليوم واعيتنا احد فلايعيننا الاكبه الله لوجهه في جهنم، (ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص، 104)

هذه الرواية لها دلالات ومعاني كبيرة ، منها التطبيق العملي والفعلي المتمثل بحضور الاشخاص الفاعلين،والاختبار الحقيقي لمعادن الرجال في بيان نصرة الحق من عدمه بعد توفر كل المقدمات والبراهين فتجد حب الدنيا يجبرهم على الركون الى الباطل،فهرثمة مثالا نوعيا، فهو الذي شهد صفين مع الامام علي عليه السلام ، وسمع قول الامام عليه السلام في سنة 37هجرية نجده يستذكرها في سنة ستين للهجرة ويشهد انه سمعها قبل ثلاث وعشرين سنة بتمامها، ودارت الايام واصبح ضمن سلطة ابن زياد لعنه الله،فيؤثر السلامة والخوف عل العيال والصبية، وهذا من الشواهد التاريخية على ان الامة كانت تمر بازمة ضياع الحق واتباع الهوى.فهرثمة ، الذي اثر الحياة الدنيا عل مصارع الكرام، وان الامام الحسين خيره بين هذه وتلك ولم يجبراحد على سلوك منهجا امن به ولكن نصيحة المسلم هي السبيل الامن في تلك المسالة .

ويذكر في الامالي ، يروى عن ابي جحيفة ، قال جاء عروة البارقي الى سعيد بن وهب ، فساله وانا اسمع فقال ، حديث حدثته عن علي بن ابي طالب ؟قال نعم، بعثني مخنف بن سليم الى علي ، فاتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده ويقول ها هنا ، فقال له رجل ماذاك يامير المؤمنين ،قال ثقل لآل محمد صلى الله عليه واله وسلم ، يتنزل ها هنا ،فويل لكم منهم وويل لكم منهم، فقال له الرجل ، مامعنى هذا الكلام يا امير المؤمنين ، قال، ويل لهم منكم تقتلونهم ؟ وويل لكم منهم وويل لكم عليهم ، فقال الرجل اما ويل لنا منهم فقد عرفناه فويل لنا عليهم ما معناه فقال ترونهم يقتلون لاتستطيعون نصرتهم (الصدوق ، الامالي ،ص،199،ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ، 104) هنا يكمن التحليل الزماني والمكاني للنهضة الحسينية ، فنلاحظ وعدا ووعيدا لمن يقف

بوجه الاصلاح ورجل الاصلاح ، وتاكيدا اخر على حقانية الدعوة الاصلاحية وانسجامها المتكامل مع رسالة الاسلام السمحاء، استخدام مفردة الثقل لال محمد الطيبين الطاهرين عليهم السلام ، كانت بمثابة تاييدا شرعيا لثورة الامام الحسين عليه السلام. وما مشروع النهضة الحسينية الادعوى للسير على نهج نبوة المصطفى ، صلى الله عليه واله وسلم ، وقد اشار الامام علي عليه السلام الى مصداق ذلك ، عن الحسن بن كثيرعن ابيه ، ان عليا اتى كربلاء فوقف بها، فقال ،امير المؤمنين ، عليه السلام ، هذه كربلاء ، ثم اوما بيده الى مكان فقال ، هاهنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم واوما بيده الى مكان اخر فقال ، هاهنا مهراق دمائهم ، فكانت موقعة ومشهد كربلاء وارض الطف كما وصفها الامام علي عليه السلام ، الارض التي اصبحت لاحقا مهراق دم الامام الحسين عليه السلام الطاهر وعياله واصحابه المنتجبين رضي الله عنهم وارضاهم.

ان الاصلاح الحسيني بحد ذاته يمثل استنصارا للحق الالهي ، ومصداق ذلك ماورد في قوله تعالى ،يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ،(سورة محمد ، الاية 7)،وقد اوضح اهل التفسير ، ان تنصروا دين الله ينصركم على الكفاروالمراد تثبيت القلوب، (القرطبي ، ج16/ ص232)،وفي قول الامام علي عليه السلام، في معنى الاية الكريمة اعلاه ، ان الله استنصركم وعنده جنود السموات والارض، فلم يسنصركم من قل،(ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج 10 / 123)،فمعنى هذا الاستنصار لاختبار قلوب وعقول المؤمنين،لذا فان الامر الذي طلبه الامام الحسين عليه السلام ، وهو الاصلاح في امة جده المصطفى صلى الله عليه واله ، كما في قول الامام عليه السلام ساعة خروجه من المدينة ، لم اخرج اشرا ولابطرا انما خرجت لطلب الاصلاح في امتي جدي صلى الله عليه واله ، (المجلسي ، بحار الانوار ، ج 44، ص 329) اذن المشروع الاستنهاضي الاصلاحي الذي عزم عليه الامام علي عليه السلام كان لاصلاح مافسد من الدين الاسلامي على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري ، بصفته امام معصوم مفترض الطاعة من المسلمين عملا مع ماورد في قوله تعالى يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ، فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ، ذَٰلِكَ خَيۡرٞ، وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ،(سورة النساء، الاية 59)، فبدا الامام الحسين عليه السلام ، في دعوة المسلمين وعلى شكل دعوات توعية ونصيحة بالخطر المحدق بهم ، فالسلطة الحاكمة المتمثلة بيزيد ، كانت قد خرجت عن الاسلام، وان الوقوف متفرجين او الوقوف على التل اذا صح التعبير في مسالة جوهرية تمس عقيدة الاسلام لامر قبيح لامهادنة في امر الحق،

ومن الشواهد القرانية والتاريخية على عدالة البرنامج الاصلاحي الحسيني فعلى المنظور القراني،قال تعالى وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ، مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ ، وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ،(سورة الصف، الاية 13) ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا، أَيْ: وَأَزِيدُكُمْ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةً تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ، نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ أَيْ، إِذَا قَاتَلْتُمْ فِي سَبِيلِهِ وَنَصَرْتُمْ دِينَهُ، تَكَفَّلَ اللَّهُ بِنَصْرِكُمْ.، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (سورة مُحَمَّدٍ، الاية ٧) وَقَالَ تَعَالَى: وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(سورة الْحَجِّ،الاية ٤٠) وَقَوْلُهُ تعالى ،وَفَتْحٌ قَرِيبٌ أَيْ عَاجِلٌ فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ خَيْرُ الدُّنْيَا مَوْصُولٌ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ، لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَنَصَرَ اللَّهَ وَدِينَهُ؛ ولهذا قال: وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ، (ابن كثير ، تفسر ابن كثير، ص 552) ،

وقال تعالى في تاكيد انتصار السائرين على طريق الاصلاح ، وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ، وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ، فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (سورة ال عمران ، الاية 123)

وفي قوله تعالى ، وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ، تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ، وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ، فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ

ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ، فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ، فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ، وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ، ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗ، وَعَشِيّٗا وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ، وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗ ، فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا، مِّنَ ٱلنَّارِ ، قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ، فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ، وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا، مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ، قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْ، وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ، إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ، يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ، (غافر ٤١-٥٢)

كَرَّرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ دُعاءَهم إلى اللَّهِ وصَرَّحَ بِإيمانِهِ، ولَمْ يَسْلُكِ المَسالِكَ المُتَقَدِّمَةَ مِن إيهامِهِ لَهم أنَّهُ مِنهم، وأنَّـهُ إنَّما تَصَدّى التَّذْكِيرَ كَراهَةَ أنْ يُصِيبَهم بَعْضُ ما تَوَعَّدَهم بِهِ مُوسى كَما يَقُولُهُ الرَّجُلُ المُحِبُّ لِقَوْمِهِ مِنَ التَّحْذِيرِ عَنِ الوُقُوعِ فِيما يَخافُ عَلَيْهِمُ الوُقُوعَ فِيهِ فَقالَ: ويا قَوْمِ ما لِي أدْعُوكم إلى النَّجاةِ وتَدْعُونَنِي إلى النّارِ، أيْ: أخْبِرُونِي عَنْكم كَيْفَ هَذِهِ الحالُ: أدْعُوكم إلى النَّجاةِ مِنَ النّارِ ودُخُولِ الجَنَّةِ بِالإيمانِ بِاللَّهِ وإجابَةِ رُسُلِهِ، وتَدْعُونَنِي إلى النّارِ بِما تُرِيدُونَهُ مِنِّي مِنَ الشِّرْكِ. قِيلَ: مَعْنى ما لِي أدْعُوكم ما لَكم أدْعُوكم كَما تَقُولُ: ما لِي أراكَ حَزِينًا أيْ: ما لَكَ.

ثُمَّ فَسَّرَ الدَّعْوَتَيْنِ فَقالَ: تَدْعُونَنِي لِأكْفُرَ بِاللَّهِ وأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، فَقَوْلُهُ تَدْعُونَنِي بَدَلٌ مِن تَدْعُونَنِي الأُولى أوْ بَيانٌ لَهم ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، أيْ: ما لا عِلْمَ لِي بِكَوْنِهِ شَرِيكًا لِلَّهِ ،وأنا أدْعُوكم إلى العَزِيزِ الغَفّارِ، أيْ: إلى العَزِيزِ في انْتِقامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ، الغَفّارِ لِذَنْبِ مَن آمَنَ بِهِ.

لا جَرَمَ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ هَذا في سُورَةِ هُودٍ، وجَرَمَ فِعْلٌ ماضٍ بِمَعْنى حَقَّ، ولا النّافِيَةُ عَلَيْهِ لِنَفْيِ ما ادَّعَوْهُ ورَدِّ ما زَعَمُوهُ، وفاعِلُ هَذا الفِعْلِ هو قَوْلُهُ: أنَّما تَدْعُونَنِي إلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ في الدُّنْيا ولا في الآخِرَةِ، أيْ: حَقَّ ووَجَبَ بُطْلانُ دَعْوَتِهِ. قالَ الزَّجّاجُ: مَعْناهُ لَيْسَ لَهُ اسْتِجابَةُ دَعْوَةٍ تَنْفَعُ، وقِيلَ: لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ تُوجِبُ لَهُ الأُلُوهِيَّةَ في الدُّنْيا ولا في الآخِرَةِ.

وقالَ الكَلْبِيُّ: لَيْسَ لَهُ شَفاعَةٌ ، وأنَّ مَرَدَّنا إلى اللَّهِ، أيْ: مَرْجِعَنا ومَصِيرَنا إلَيْهِ بِالمَوْتِ أوَّلًا، وبِالبَعْثِ آخِرًا فَيُجازِي كُلَّ أحَدٍ بِما يَسْتَحِقُّهُ مِن خَيْرٍ وشَرٍّ وأنَّ المُسْرِفِينَ هم أصْحابُ النّارِ، أيِ: المُسْتَكْثِرِينَ مِن مَعاصِي اللَّهِ. قالَ قَتادَةُ وابْنُ سِيرِينَ: يَعْنِي المُشْرِكِينَ. وقالَ مُجاهِدٌ والشَّعْبِيُّ: هُمُ السُّفَهاءُ السَّفّاكُونَ لِلدِّماءِ بِغَيْرِ حَقِّها. وقالَ عِكْرِمَةُ: الجَبّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ. وقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ تَعَدَّوْا حُدُودَ اللَّهِ، و" أنَّ " في المَوْضِعَيْنِ عَطْفٌ عَلى " أنَّ " في قَوْلِهِ: أنَّما تَدْعُونَنِي إلَيْهِ، والمَعْنى: وحَقٌّ أنَّ مَرَدَّنا إلى اللَّهِ، وحَقٌّ أنَّ المُسْرِفِينَ إلَخْ.

فَسَتَذْكُرُونَ ما أقُولُ لَكُمْ، إذا نَزَلَ لَكُمُ العَذابُ وتَعْلَمُونَ أنِّي قَدْ بالَغْتُ في نُصْحِكم وتَذْكِيرِكم، وفي هَذا الإبْهامِ مِنَ التَّخْوِيفِ والتَّهْدِيدِ ما لا يَخْفى ،وأُفَوِّضُ أمْرِي إلى اللَّهِ، أيْ: أتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وأُسَلِّمُ أمْرِي إلَيْهِ.

قِيلَ: إنَّهُ قالَ هَذا لَمّا أرادُوا الإيقاعَ بِهِ. قالَ مُقاتِلٌ: هَرَبَ هَذا المُؤْمِنُ إلى الجَبَلِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. وقِيلَ: القائِلُ هو مُوسى، والأوَّلُ أوْلى.

فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا، أيْ: وقاهُ اللَّهُ ما أرادُوا بِهِ مِنَ المَكْرِ السَّيِّءِ، وما أرادُوا بِهِ مِنَ الشَّرِّ. قالَ قَتادَةُ: نَجّاهُ اللَّهُ مَعَ بَنِي إسْرائِيلَ.

وحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ، أيْ: أحاطَ بِهِمْ ونَزَلَ عَلَيْهِمْ سُوءُ العَذابِ.

قالَ الكِسائِيُّ: يُقالُ: حاقَ يَحِيقُ حَيْقًا وحُيُوقًا: إذا نَزَلَ ولَزِمَ. قالَ الكَلْبِيُّ: غَرِقُوا في البَحْرِ ودَخَلُوا النّارَ، والمُرادُ بِآلِ فِرْعَوْنَ: فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ، وتَرَكَ التَّصْرِيحَ بِهِ لِلِاسْتِغْناءِ بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِهِ لِكَوْنِهِ أوْلى بِذَلِكَ مِنهم، أوِ المُرادُ بِآلِ فِرْعَوْنَ فِرْعَوْنُ نَفْسُهُ.

والأوَّلُ أوْلى لِأنَّهم قَدْ عُذِّبُوا في الدُّنْيا جَمِيعًا بِالغَرَقِ، وسَيُعَذَّبُونَ في الآخِرَةِ بِالنّارِ.

ثُمَّ بَيَّنَ - سُبْحانَهُ - ما أجْمَلَهُ مِن سُوءِ العَذابِ، فَقالَ: النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا، فارْتِفاعُ النّارِ عَلى أنَّها بَدَلٌ مِن سُوءِ العَذابِ، وقِيلَ: عَلى أنَّها خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أوْ مُبْتَدَأٌ وخَبَرُهُ يُعْرَضُونَ، والأوَّلُ أوْلى ورَجَّحَهُ الزَّجّاجُ وعَلى الوَجْهَيْنِ الأخِيرَيْنِ تَكُونُ الجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً جَوابَ سُؤالٍ مُقَدَّرٍ.

وذَهَبَ الجُمْهُورُ أنَّ هَذا العَرْضَ هو في البَرْزَخِ، وقِيلَ: هو في الآخِرَةِ.

قالَ الفَرّاءُ: ويَكُونُ في الآيَةِ تَقْدِيمٌ وتَأْخِيرٌ أيْ: أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ العَذابِ النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا، ولا مُلْجِئَ إلى هَذا التَّكَلُّفِ فَإنَّ قَوْلَهُ: ،ويَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ العَذابِ، يَدُلُّ دَلالَةً واضِحَةً عَلى أنَّ ذَلِكَ العَرْضَ هو في البَرْزَخِ، وقَوْلُهُ: أدْخِلُوا هو بِتَقْدِيرِ القَوْلِ أيْ: يُقالُ لِلْمَلائِكَةِ: أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ، وأشَدَّ العَذابِ هو عَذابُ النّارِ.

والمَعْنى: اذْكُرْ لِقَوْمِكَ وقْتَ تَخاصُمِهِمْ في النّارِ ثُمَّ بَيَّنَ - سُبْحانَهُ - هَذا التَّخاصُمَ فَقالَ: ،فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، عَنِ الِانْقِيادِ لِلْأنْبِياءِ والِاتِّباعِ لَهم، وهم رُؤَساءُ الكُفْرِ ،إنّا كُنّا لَكم تَبَعًا، جَمْعُ تابِعٍ، كَخَدَمٍ وخادِمٍ،

قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إنّا كُلٌّ فِيها، هَذِهِ الجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ جَوابُ سُؤالٍ مُقَدَّرٍ والمَعْنى: إنّا نَحْنُ وأنْتُمْ جَمِيعًا في جَهَنَّمَ، فَكَيْفَ نُغْنِي عَنْكم. إنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ، أيْ: قَضى بَيْنَهم بِأنَّ فَرِيقًا في الجَنَّةِ وفَرِيقًا في السَّعِيرِ

وقالَ الَّذِينَ في النّارِ، مِنَ الأُمَمِ الكافِرَةِ، مُسْتَكْبِرِهِمْ وضَعِيفِهِمْ ،لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ، جَمْعُ خازِنٍ، وهو القَوّامُ بِتَعْذِيبِ أهْلِ النّارِ ،ادْعُوا رَبَّكم يُخَفِّفْ عَنّا يَوْمًا مِنَ العَذابِ، يَوْمًا ظَرْفٌ لِ يُخَفِّفْ، ومَفْعُولُ يُخَفِّفْ مَحْذُوفٌ عَنّا شَيْئًا أيْ: يُخَفِّفْ مِنَ العَذابِ مِقْدارَ يَوْمٍ أوْ في يَوْمٍ.

وجُمْلَةُ ،أوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكم رُسُلُكم بِالبَيِّناتِ، مُسْتَأْنَفَةٌ جَوابُ سُؤالٍ مُقَدَّرٍ، والِاسْتِفْهامُ لِلتَّوْبِيخِ والتَّقْرِيعِ قالُوا بَلى أيْ: أتَوْنا بِها فَكَذَّبْناهم ولَمْ نُؤْمِن بِهِمْ ولا بِما جاءُوا بِهِ مِنَ الحُجَجِ الواضِحَةِ، فَلَمّا اعْتَرَفُوا قالُوا أيْ: قالَ لَهُمُ المَلائِكَةُ الَّذِينَ هم خَزَنَةُ جَهَنَّمَ فادْعُوا أيْ: إذا كانَ الأمْرُ كَذَلِكَ فادْعُوا أنْتُمْ، فَإنّا لا نَدْعُوا لِمَن كَفَرَ بِاللَّهِ وكَذَّبَ رُسُلَهُ بَعْدَ مَجِيئِهِمْ بِالحُجَجِ الواضِحَةِ.

ثُمَّ أخْبَرُوهم بِأنَّ دُعاءَهم لا يُفِيدُ شَيْئًا فَقالُوا: ،وما دُعاءُ الكافِرِينَ إلّا في ضَلالٍ، أيْ: في ضَياعٍ وبُطْلانٍ وخَسارٍ وتَبارٍ.

وجُمْلَةُ ،إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا، مُسْتَأْنَفَةٌ مِن جِهَتِهِ - سُبْحانَهُ - أيْ: نَجْعَلُهُمُ الغالِبِينَ لِأعْدائِهِمُ القاهِرِينَ لَهم، والمَوْصُولُ في مَحَلِّ نَصْبٍ عَطْفًا عَلى رُسُلِنا أيْ: لَنَنْصُرُ رُسُلَنا، ونَنْصُرُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهم في الحَياةِ الدُّنْيا بِما عَوَّدَهُمُ اللَّهُ مِنَ الِانْتِقامِ مِنهم بِالقَتْلِ والسَّلْبِ والأسْرِ والقَهْرِ ويَوْمَ يَقُومُ الأشْهادُ وهو يَوْمُ القِيامَةِ. قالَ زَيْدُ بْنُ أسْلَمَ: الأشْهادُ هُمُ المَلائِكَةُ والنَّبِيُّونَ وقالَ مُجاهِدٌ والسُّدِّيُّ: الأشْهادُ المَلائِكَةُ تَشْهَدُ لِلْأنْبِياءِ بِالإبْلاغِ، وعَلى الأُمَمِ بِالتَّكْذِيبِ

وهُوَ مَعْنى قَوْلِهِ: ،يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهم ولَهُمُ اللَّعْنَةُ، أيِ: البُعْدُ عَنِ الرَّحْمَةِ ولَهم سُوءُ الدّارِ أيِ: النّارُ ويَوْمَ بَدَلٌ مِن يَوْمَ يَقُومُ الأشْهادُ، وإنَّما لَمْ تَنْفَعْهُمُ المَعْذِرَةُ لِأنَّها مَعْذِرَةٌ باطِلَةٌ وتَعِلَّةٌ داحِضَةٌ وشُبْهَةٌ زائِغَةٌ.

وقَدْ أَخْرَجَ البُخارِيُّ في تارِيخِهِ، وابْنُ المُنْذِرِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ في قَوْلِهِ: ﴿وأنَّ المُسْرِفِينَ هم أصْحابُ النّارِ﴾ قالَ: السَّفّاكِينَ لِلدِّماءِ بِغَيْرِ حَقِّها.

وأخْرَجَ البُخارِيُّ، ومُسْلِمٌ وغَيْرُهُما عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ -: «إنَّ أحَدَكم إذا ماتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَداةِ والعَشِيِّ، إنْ كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ فَمِن أهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ كانَ مِن أهْلِ النّارِ فَمِن أهْلِ النّارِ، يُقالُ لَهُ: هَذا مَقْعَدُكَ حَتّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ. زادَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ: " ثُمَّ قَرَأَ ،النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ - قالَ: ما أحْسَنَ مُحْسِنٌ مُسْلِمٌ أوْ كافِرٌ إلّا أثابَهُ اللَّهُ، قُلْنا يا رَسُولَ اللَّهِ: ما إثابَةُ الكافِرِ ؟ قالَ: المالُ والوَلَدُ والصِّحَّةُ وأشْباهُ ذَلِكَ، قُلْنا: وما إثابَتُهُ في الآخِرَةِ ؟ قالَ: عَذابًا دُونَ العَذابِ وقَرَأ رَسُولُ اللَّهِ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ،أدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ العَذابِ .

عَنْ أبِي الدَّرْداءِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ - قالَ: «مَن رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وجْهِهِ نارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ تَلا ، إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا ..(الشوكاني، فتح القدير، ت 1250 هجرية،ج4، ص 569)

وقوله تعالى ، قَالَ رَبِّيَ انصرني على القوم المفسدين (سورة الشعراء ، ص 188)وقوله تعالى، يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ، (سورة الصف ، الاية 14)

ويتجلى المشروع الاصلاحي زمانيا ومكانيا وعبر ماجرى للانبياء والرسل في دعوة اقوامهم الى الصلاح والاصلاح في حياتهم، وعلى راي احد الباحثين المعاصرين ، في هذا المعنى عن الاستنصار ،الوارد ذكره في الايات المتقدمة ، ان طلب النصرة من الناس الوارد في القران ،ليس ان الله سبحانه وتعالى يطلب المعونة من العاجزين والضعفاء في الارض ولانه مظلوم او ضعيف تعالى الله علوا كبيرا، وانما هو استنقاذ واستنهاض لانفسهم الضعيفة والنائمة ، لتقوية ارادتهم التي قد تتلاشى عند اللذين يركنون الى اللذين ظلموا فيظنوا ان الحول والقوة عند الطغاة فحسب .0(محمد مدب واخرون ، الاستنصار القراني و الحسيني ،ص 194 ، بحث ، مجلة العميد،السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، العدد 11 لسنة 2014)

وبذلك يكون الامام الحسين عليه السلام قد قصد هذا المعنى المتقدم ذكره ، حيث استنصر الناص وطلب منهم النصرة لال محمد صلى الله عليه واله حين قال في الطف ، اما من ناصر ينصرنا، اما من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه واله.(ابن طاووس ، اللهوف على قتلى الطفوف ، ص 116).

ومما تقدم يدل بما لايقبل الشك، ان الاستنصار لم يكن بدعيا من الامام الحسين عليه السلام تجلت كرامته،بل هو منهج قراني صريح وواضح، ورد على لسان الانبياء والرسل عليهم السلام، ومما يظهر ان استنصار الامام الحسين السلام ، عليه كان لمجموع الناس لم يجد صداه عند الاكثرية في حينه لان شروط الامام الحسين عليه السلام ، لنصرة الحق كانت خالصة لله وحده ، وليس لطالب دنيا او جاه اومال ، ثم انه لم يعدهم بالنصر في الحياة الدنيا انما يعدهم بالجنة بل قال لهم ، عليه السلام ، من لحق بنا استشهد ، ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح ، واذ نورد هذا الكلام فهو من جهة الناس لامن جهة الا مام الحسين عليه السلام ، فانه عليه السلام ، لم يكن بحاجة الى نصرة القوم بل منصورا من الله تعالى في الدنيا والاخرة، ولكن صاحب الحاجة والمعونة هم الناس والمدعوون لاصلاح انفسهم، لذا ركز الامام عليه السلام على توعية الناص ونصحهم وارشادهم الى خطورة السكوت عن السلطان الجائر والركون اليه.

الخاتمة

ولما تقدم يمكن القول ، ان منهج الاصلاح الحسيني ن كان حاضرا في سيرة النبي محمد صلى اللع عليه واله وسلم ، وسيرة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام ، وهذا الامتداد في الزمان والمكان ومن خلال تقديم المرويات التي ذكرت في البحث، يدل دلالة صريحة على تطابق الاحداث التي بينتها المرويات تطابقا تاما، لانهم من منبع واحد ، ومن تنبؤات النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، الذي لاينطق عن الهوى انه وحي يوحى ، وكان احداث كربلاء ووقفة الامام الحسين ،هو ذاته موقف النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، ، عندما وقف بوجه المشركين من قريش ، انه يوم الحق ضد الباطل المتمثل بالسلطة الحاكمة الاموية ، وفي عهد يزيد بن معاوية طاغية عصره،

لاسيما ان الله سبحانه وتعالى اجزل العطاء وبارك ونصر الامام الحسين بالشهادة واصحابه الميامين، وان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ،قد ذكر في الروايات السابقة، فضل جهاد الذين يدافعون عن الدين الاسلامي ،الجنة ماواهم خالدين فيها،

وان معركة كربلاء سنة 60 ستين هجرية ليست وليدة يومها فحسب ، انما امتدادا لمسيرة نهج الاصلاح النبوي، ونهج الاصلاح الذي اتخذه الامام علي عليه السلام ،وامتدادا لنهج الامام الحسن عليه السلام، واستمرا لذلك بادر لمواجهة الطغيان الاموي،

ولابد من الاشارة الى مفهوم الاصلاح، الذي تحقيق الحياة الحرة الكريمة ،وان الاصلاح يتحرك في داخل العقول والقلوب المؤمنة بعقيدة الاسلام ، كذلك بتضح جليا من اهميته بايقاظ الامة من سباتها من غفلتها ،لاسيما في الواقع الذي تعيشه الامة الاسلاميةن من تظافر الاعداء عليها وعلى محارمها، فلا بد من يقظة . وكان التاريخ يعيد نفسه، والتوق الى القائد المصلح اصبح ضرورة ملحة وواجبة .

المصادر

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، مصنّف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد محمد اللحّام، ط١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، المسند، دار صادر، بيروت.

ابن رشيق، أبو علي الحسن (ت ٤٥٦هـ)، العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، ١٩٣٤م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شبر، د. ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

ابن مزاحم، نصر المنقري (ت ٢١٢هـ)، وقعة صفّين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، المؤسسة العربية، ١٣٨٢هـ.

ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، ط٢، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٢هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم.